

٢ - علوم اللغة العربية -

في المدارس الثانوية

للدكتور زكي مبارك

مشكلة المشكلات

هي مشكلة الصراحة في وزن الأمور التعليمية بالقسطاس وأنا مقبل على شرح تلك المشكلة بلا مبالاة ولا مداراة ، فإيهمني أن يرضى فلان أو يفضى فلان ، لأن النافع الوقتية لا تهمنى بشيء ، ولأن الخطئة التي اخترتها لحياي هي خطئة الصدق الصريح في جميع الشؤون

أقول هذا وقد شاع بين جمهور المدرسين أن مفتشى التعليم الثانوى قرروا تقليل موضوعات الإنشاء

ومقاييس التقدم كما قلنا في بعض كتبنا « كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فإذا قسنا التقدم بالسعادة فقد نتاح السعادة للحقير وبحرمها العظيم ، وإذا قسناه بالثنى فقد يفتنى الجاهل ويفتقر العالم ، وإذا قسناه بالعلم فقد تعلم الأمم المضمحلة الشائخة وتجهل الأمم الوثيقة الفتية ، إلا مقياساً واحداً لا يقع فيه الاختلاف والاختلال ، وهو مقياس المسؤولية واحتمال التبعة . فإنك لا تضامى بين رجلين أو أمتين إلا وجدت أن الأفضل منهما هو صاحب النصيب الأوفى من المسؤولية ، وصاحب القدرة الراجعة على النهوض ببقائه والاضطلاع بحقوقه وواجباته ، ولا اختلاف في هذا المقياس كلما قست به الفارق بين الطفل القاصر والرجل الرشيد ، أو بين الهمجي والمدنى ، أو بين المجنون والمائل ، أو بين الجاهل والعالم ، أو بين العبد والسيد ، أو بين العاجز والقادر ، أو بين كل مفضول وكل فاضل على اختلاف أوجه التفضيل

« فاحتمال التبعات هو مناط التقدم المستطاع »

ومعنى ذلك أن التقدم هو الاعتراف بالفرد والاعتراف بشأه في المجتمع ، والخروج به من رتبة القدرية التي تفرض عليه سلطاناً يستترقه ويطلوه .

هباس محمد العفاد

وأنا لن أعرض لتلك الإشاعة بنفى ولا إثبات ، لأنى لا أملك إعلان ما دار في اجتماع المفتشين إلا باحتراس ، فإيجوز لرجل يشترك في إحدى اللجان أن يذيع مداولاتها بأى حال ولكن ما الموجب لطى تلك المداولات والجرائد تنشر تفاسيل ما يدور في مجلس الشيوخ ومجلس النواب ؟

لو كان مقامى مقام المترفق لطويت أقوال زملائي ، لأدفع عنهم نطاوول المتطاولين من المتهاونين ، ولكن مقامى مقام الناثر الذى لا يرضيه غير الظفر بأكبر نصيب من أنسبة النضال ، فأنا أودى نفسى ولا أودى زملائي حين أعترض على الترفق بالمدرسين والتلاميذ

برهنة مزعومة

هي بدعة التخفيف ، تخفيف الواجبات المدرسية وعندى كلمة سأقولها مرة واحدة ثم أسكت عنها إلى آخر الرمان .

سأقول إن في مصر ناساً يظنون أن تلاميذ المدارس الثانوية أطفال ، وأن من الواجب أن تكون دروسهم هينات لينات ، لأنهم أطفال !

سأقول إن التخفيف يفضى إلى قلة الاهتمام ، والاهتمام هو أساس كل تفوق . وقد صارت علوم اللغة العربية في المدارس الثانوية عرضة للتسهيلات والتخفيفات من عام إلى عام ، بصورة توجب الأزعاج

لقد انعدم علم الصرف أو كاد ينعدم في المدارس المصرية ، وصار من النادر أن نجد تلميذاً يعرف كيف يفتع من المعاجم اللغوية .

ومضى التخفيف إلى النحو فحذف منه أبواباً كثيرة ، وصار من النادر أيضاً أن نجد تلميذاً يفهم أسرار الإعراب وانساق التخفيف إلى علوم البلاغة فهو يقص حواشيتها بلا تردد ، وقد نرى غداً من يقترح حذف تلك العلوم ، بحجة أنها نشأت في بيئات أعجمية !

وقد قرر المفتشون في اجتماعهم الأخير حذف تاريخ الأدب ، وكان يجب أن أفرج لأنى اقترحت ذلك منذ سنين ، ولكن

إلا أن يتساموا إلى الأستاذية ، كما قلت قبل لحظات
وما هذه الأستاذية التي توجب أن يكون في معاهدنا المالية
ألف وألف ؟

نحن نخلق لأبنائنا متاعب ثقيلة بفضل هذه الأحلام ،
ونحن نصدّمهم عن الحياة بفضل هذه الأحلام ، ونحن نجني عليهم
جناية سنسأل عنها يوم يقوم الحساب

مرحلة التعليم الثانوي هي المرحلة النهائية ، ثم يلتفت الشاب
إلى حاله فيكون رجل عمل في أي ميدان

والمدرس مسئول عن تحقيق هذا المعنى ، ومن واجبه أن
يهب تلاميذه جميع ثروته العلمية والأدبية في أقصر وقت ،
لينصرفوا إلى الحياة بعد أسابيع لا سنين !

والهمم هو أن تؤمن بأن الشبان في مرحلة التعليم الثانوي
رجال لا أطفال

الهمم هو أن نحدث تلاميذنا في جميع الشؤون حديث
الزميل للزميل

إن هؤلاء التلاميذ خلقوا جديداً ، وقلبي يتحدثني بأنهم
يعرفون من حقائق الحياة أكثر مما نعرف

والمدرس الحق هو الذي يسبق زمانه بعشرات السنين ،
ليحاور تلاميذه في أشياء تسبق زمنهم بأزمان
فتي نجد ذلك المدرس المنشود ؟

هو موجود بالفعل ، فعندنا جيوش من المدرسين الأكفاء ،
ولعل مصر أغنى بلاد الشرق بالمدرسين الأكفاء

ولكن الذي يميز الحياة التعليمية في مصر هو التوجيه
السديد ، التوجيه الذي يُشعر المدرس بأنه مسئول أمام الوطن
عن تكوين الجيل الجديد

ومن الواضح أن هذا لا يتيسر إلا إذا تغيّرت النظرة
الحكومية والشعبية للمدرس

ومعنى هذا أنني أنتظر أن تكون أبوة وزير المعارف للمدرسين
أبوة رفيعة إلى أبعد الحدود ، بحيث يجهلون الدول من كلمات
العلاوات والترقيات والدرجات ، لأن لهم أباً يتوب عنهم في فهم
تلك الكلمات

حدثني صديق يسير مناقشات البرلمان بأكثر مما أسمع

الطريقة التي احتجوا بها لذلك القرار قامت على القول بأن التلاميذ
أضعف من أن يفهموا تاريخ الأدب ، لأنهم في حكم الأطفال !
والواقع أن تلاميذ المدارس الثانوية يسايرون من خيولهم
عهداً هو أخصب العهد ، فيجب أن ننتفع بتلك الفرصة فنزودهم
بالمعارف التي تسندهم في المستقبل ، ويجب أن نخلق فيهم الشوق
إلى جميع المعارف ، وأن نجعلهم جنوداً سعداء بالجندية في ميدان
التعليم والتثقيف

قلت لزملائي : أنا أستطيع شرح أصعب معضلة أدبية
أو فلسفية شرحاً يفهمه أضعف تلميذ ، فلا تسيثوا الظنون
باستعداد التلاميذ

فقال الأستاذ مختار يونس : لم أفهم شيئاً مما تقول
فقلت : لأنني أوجزت في مقام يجب فيه الإطناب !

يجب أن نفهم أن الفرصة في أيدينا ، وأن الشبان بين العاشرة
والعشرين صالحون لفهم أصعب الدقائق . ويجب أن يكون في
نيتنا جعل مرحلة التعليم الثانوي مرحلة حاسمة في تكوين عقول
الشبان ، بحيث لا يحتاجون إلى المعاهد المالية إلا إذا تساموا
إلى الأستاذية في مختلف العلوم والفنون

وأنا لا أعرف كيف قضينا أزماناً بلا فهم المراد الصحيح
من التعليم الثانوي ، فهو عندنا إعداد للتعليم العالي ، وكان يجب
أن يكون إعداداً لخوض معترك الحياة بلا تهيب ولا إشفاق

أنا أكره أن تدوم هذه الحال ، وأحب أن يصير الشاب
رجل أعمال بعد العشرين ، وأنعجب من أن يعيش عائلة على أبويه
إلى الثلاثين

وأنا أتمنى أن يصبح التعليم العالي مقصوداً على من يملكون
الوقت والمال ، ول هؤلاء فرص لا يظفر بها غير آحاد أو مئات ،
وهم لن يكونوا أشرف من الشبان الذين يصارعون أمواج الحياة
قبل العشرين

مرحلة التعليم الثانوي هي الفرصة الحقيقية لتثقيف الشبان .
وتضييع هذه الفرصة إثم موبق

والكلمة لحضرات المدرسين ، فإذا يقولون ؟
من واجب كل مدرس أن يدرك أنه مسئول عن إعداد
تلاميذه للحياة ، بحيث لا يحتاجون إلى شيء بعد التعليم الثانوي ،

أن معالي الهلالى باشا قال فى مجلس النواب: « إن وزارة المعارف هى وزارة الدرجة السادسة »

والعبارة صحيحة ، وإن جاز أنها من الكلام المنحول ونحن نقرأ من يوم إلى يوم أن الهلالى باشا معنى بتحسين أحوال المدرسين ، وهذا الذى نقرأ ليس كلاماً يراد به الدعاية ، وإنما هو صدق فى صدق ، فهذا الوزير يجب أن يكون له فى وزارة المعارف تاريخ نبيل ، وسيرى المدرسون بعد أيام أنه ضمن لهم طمأنينة تريحهم من القلق الذى يساورهم منذ سنين والمجال يسمح بتدوين الملاحظة الآتية :

كان يهمنى فى بغداد أن أسأل عن الطلبة الذين يتخلفون عن دروسى بدار المعلمين العالية ، وكان الجواب دائماً أنهم تحولوا إلى المدرسة العسكرية ، لأن مستقبلها مضمون

والحال كذلك فى مصر ، فالشباب عندنا لا يؤثرون المعاهد التى تُعدّ المدرسين إلا بعد اليأس من دخول المعاهد التى تُعدّ الضباط والمهندسين والأطباء

ومعنى هذا أن يفهم الجمهور أن المدرس هو شخص فائته المواهب التى تؤهل لتلك المناصب

وأقول بصراحة إن المدرس لا يصلح لمهنته إلا إن كان غاية فى جمال الصفات الجسمانية والروحية

ولن نظفر بمدرسين من هذا الطراز إلا إن ضمنّا أن تكون حياة المدرس فى مثل حياة الضابط والمهندس والطبيب

ولن يكون هذا إلا يوم يفهم الشبان أن مهنة التعليم مهنة مجد ، وليست Métier sans gloire كما يقول الفرنسيون

وهل ننسى الصراع الذى يثور عند الانقلابات الوزارية ؟ هل ننسى أن الوزير لا يرضى عن مصيره إلا إن كان وزير الداخلية أو المالية ؟

يجب أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول فى الدولة ، لأنه المسئول عن تكوين العقول والقلوب

قالت جريدة الأهرام إن الهلالى باشا استطاع بلباقته أن يظفر بألوف من الجنيئات لتحسين أحوال المدرسين

ومعنى هذا أنه انتهب من أموال الدولة أشياء يلزم التعليم

الله أكبر ، والله الحمد !

إن مصر رضىت الحياذ فى الحرب ، ولكنها لم ترض الحياذ فى العلم ، فهى تناضل فى الميادين العلمية نضال المجاهدين الفائزين ، فما الموجب لأن يقال إن وزير المعارف قد استطاع بلباقته أن يأخذ من أموال الدولة أشياء ؟

لن نسكت أو يصير وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليصير المدرس هو الرجل الأول فى هذه البلاد

نحن المدرسين نطالب الدولة بإقرار العدل ، لنصير مطمئنين إلى ما تريد من تثقيف الجيل الجديد

غابتنا واضحة وصريحة ، وهى أن يعرف الشعب أننا فى المقام الأول ، لأننا معلمون ، والمعلم هو الرجل الأول فى سرعة الإنصاف .

مدرسى اللغة العربية

كتبت عن هذا المدرس أربع صفحات ، ثم طويتها ، لأنه مدرس مظلوم ، فهل أعود إلى نشر تلك الصفحات ؟ لن أفعل أو أنشر أقوال المفتشين بالتفصيل وسأرى كيف أروض القلم فى المقال المقبل

ذك مبارك

إدارة البلديات - قسم الطرق

تقبل العطاءات حتى ظهر يوم ١٥
أبريل سنة ١٩٤٣ عن توريد مواد
الرصف اللازمة لبلدية بنها وتطلب
الشروط والمواصفات من الإدارة مقابل
مبلغ ٥٠٠ ملجم للنسخه ٣٧٠